

الابتلاء بالأبناء عند الأنبياء

اعـــداد

أسامة أحمد محمد عبد الرحيم

قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية الأساسية

الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، الكويت

البريد الإلكتروني: abhathi٢٠٢٠@gmail.com

الملخص:

يهدف البحث إلى بيان حكمة الله عز وجل في الابتلاءات المختلفة وذلك في ضوء ما تشير إليه الآيات الكريمة، أو ترشد إليه الأحاديث الشريفة، وبيان على فضل الصبر والصابرين على البلاء، وما يقال عند البلاء، مما ورد في الكتاب والسنة، وكذلك يوضح الاستفادة من الابتلاء فيما يتعلق بالعملية التربوية وذلك على قدر ما تسعف به أصول علم التربية، ثم يعمل البحت على بناء جيل صلب قوي ثابت على صراط الله المستقيم في المستقبل، وأيضا حث الأمة الإسلامية على الرجوع إلى مصادرها الأصلية، قرآنا وسنة، وفهمهما وتطبيقهما، للتأكيد على صلاحية الشرع الإسلامي لكل زمان ومكان، والتزمت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والاستنباطي، القائمان على بذل أقصى جهد عقلي ونفسي، بهدف استخراج قوانين تربوية، مستنبطة من أدلتها التفصيلية، ومن ثم استخدمت هذين المنهجين بهدف استخراج فوائد وقيم من مواقف الأنبياء في الابتلاء بالأبناء، للاستفادة منها في عصرنا الحاضر، وخلص البحث إلى أن الابتلاء سنة من سنن الله تعالى في خلقه في هذه الحياة، وأنه يكون بالخير والشر، وأن الصبر على فقد الأبناء له أجر وثواب عظيم عند الله، وأن من دوافع القتل، الحقد والحسد، و علاجهما الخوف من الله، والاستسلام لقضاء الله وقدره، والأخذ على يد الحاسد، كما خلص إلى أن الراجح أن الذي وقع عليه الذبح هو نبي الله إسماعيل، لقوة الأدلة الدالة على ذلك، وتوصل البحث إلى أن العقم داء لازم، والعقر داء طارئ، ولكل من العقم والعقر دواء بفضل الله تعالى، ثم وسائل العلم الحديثة، وأن أشد الأنبياء ابتلاء هو سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، حيث ابتلي بفقد أبنائه جميعا في حياته سوى فاطمة رضي الله عنها.

الكلمات المفتاحية: الابتلاء، الأبناء، الأنبياء، الصبر، العقم

Abstract;

The research aims to clarify the wisdom of God Almighty in the various afflictions, in the light of what the noble verses refer to, or the honorable hadiths guide to, and a statement on the virtue of patience and those who are patient in affliction, and what is said when affliction, which is mentioned in the book and the Sunnah, as well as clarifying the benefit of affliction. With regard to the educational process, to the extent that the foundations of pedagogy help it, then purely works to build a solid, strong generation that is firm on the straight path of God in the future, and also urges the Islamic nation to return to its original sources, the Qur'an and Sunnah, understand and apply them, to emphasize the validity of the law Islam is for every time and place, and I adhered in this research to the inductive and deductive method, which are based on exerting the utmost mental and psychological effort, with the aim of extracting educational laws, deduced from their detailed evidence, And then I used these two approaches with the aim of extracting benefits and values from the positions of the prophets in afflicting children, to benefit from them in our present time. And a great reward with God, and that one of the motives for killing is hatred and envy, and their treatment is fear of God, submission to God's decree and predestination, and taking at the hands of the envious. The research concluded that sterility is a necessary disease, and sterility is an emergency disease, And the most tested prophets is the master of creation, Muhammad, may God's prayers and peace be upon him, as he was afflicted with the loss of all his sons during his lifetime except for Fatima, may God be pleased with her.

Keywords: affliction, sons, prophets, patience, sterility

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلي الإنسان أحسن عملا، وأشهد أن لا إله إلا الله الذي اصطفى من عباده ملائكة ورسلا، وأشهد أن سيدنا محمدا خير من أرسله بالهدى والرشدا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أبدا أبدا. وبعد.

فحياة الرسل والأنبياء ليست سوى النماذج البشرية السامية لهذا السلوك الابتلائي الحر في التجارب الابتلائية، والمُثل الناجحة، فكل رسول وكل نبي يخوض في مختلف الأنواع من التجارب الابتلائية الممتعة والمؤلمة، شأنه في ذلك شأن البشر أجمعين، علاوةً على أنه يتخصص في نوعٍ معين من الإبتلاءات يصبح فيه النموذج والمثال العظيم.

فمن الأنبياء من شهد قتل أحد أبنائه لأخيه, ومنهم من شهد مصرع ولده على الكفر، ومنهم من أمر بذبح ولده إرضاء لربه، ومنهم من ابتلي في ولده في تدينهم والتزامهم بدين الله، ومنهم من ابتلي بفقد ولده وأحب أبنائه إلى قلبه مدة طويلة، ومنهم سيدهم صلى الله عليه وسلم من فقد كل أولاده في حياته ولم تمت بعده إلا إحدى بناته عليها السلام.

ولكون الابتلاء لا سيما في الأبناء لا يخلو منه بشر حتى الأنبياء، ومكانته العظيمة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأهميته في تثبيت العقيدة لدى المسلم، أستخرت الله في أن أجمع هذه المادة من القرآن والسنة، فألهمني بفضله أن أخوض في جمع هذه المادة، فشمرت عن ساعدي، وأسأله التوفيق والسداد.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في النقاط التالية:

١- البحث عن حكمة الله عز وجل في الابتلاءات المختلفة وذلك في ضوء ما تشير إليه الآيات الكريمة، أو ترشد إليه الأحاديث الشريفة.

٢- الاستفادة من الابتلاء فيما يتعلق بالعملية التربوية وذلك على قدر ما تسعف به أصول علم التربية.

٣- بناء جيل صلب قوي ثابت على صراط الله المستقيم في المستقبل.

٤- حث الأمة الإسلامية على الرجوع إلى مصادرها الأصلية، قرآنا وسنة، وفهمهما وتطبيقهما، للتأكيد على صلاحية الشرع الإسلامي لكل زمان ومكان.

مشكلة الدراسة

تكمن مشكلة البحث في الأسئلة الآتية:

١- ما الطرق التي تعامل بها الأنبياء مع ابتلائهم في أبنائهم؟
٢- ما الأسباب والدوافع لظواهر الابتلاء؟
٣- ما الفوائد التربوية والإيمانية في الجانب العملي والسلوكي والقيمي؟
٤- ما الهدف في تناول هذه الدراسة؟

الأهداف

تتجلى أهداف البحث إلى إبراز الإجابة على الأسئلة السابقة.

١- بيان طرق الأنبياء في تعاملهم مع هذا الابتلاء.
٢- بيان الأسباب والدوافع لظواهر الابتلاء.
٣- اشتمال البحث على فوائد تربوية إيمانية في الجانب العملي والسلوكي والقيمي.
٤- إظهار الريادة النبوية في الجانب العملي الاجتماعي.

الدراسات السابقة

بعد الاطّلاع والنظر في الكتب والدراسات التي توفّرت لدي، مع الإقرار بقلة إطلاعي لم أجد من بحث هذا الموضوع بالشكل والمنهج الذي أريد بحثه، ولم يصل إلى علمي قيام أحد الباحثين بذلك، وأما الكتب الحديثة فقد كتبت في الموضوع بعض الكتيبات، ونشرت بعض المقالات المتفرقة هنا وهناك، لذا فإنني أذكر باختصار أهم تلك الجهود والدراسات التي خلّفها الباحثون في موضوع سُنة الابتلاء مع التأكيد على أنه لم توجد دراسة تخص الابتلاء بالأبناء عند الأنبياء عليهم السلام:

١- "برد الأكباد عند فقد الأبناء" للشيخ الحافظ المحدث أبي عبد الله محمد بن عبد الله، المعروف بابن ناصر الدين الدمشقي. قدم له عبد القادر بن شيبة الحمد، مكتبة فهد الوطنية، الرياض/ الطبعة: الأولى ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

٢- رسالة بعنوان " سُنَّة الابتلاء في القرآن الكريم"، إعداد الطالب رجب نصر موسى الأنس، قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، في نابلس، فلسطين.

٣- "الابتلاء والمحن في الدعوات" د.محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان، عمان، ط١٩٩٦،١م.

٤- "الابتلاء في القرآن الكريم" رسالة، محمد يوسف أحمد دوفش، عمان، الأردن، الجامعة الأردنية، ١٩٨٨م، "غير منشورة."

٥- "ظاهرة المحنة – محاولة لدراسة سننية"- د.خالص جلبي، دار القلم، الكويت، ط:١.

٦- "غزوة أحُد في الكتاب والسنة" رسالة د. الحسيني أبو فرحة، وتكلم فيها عن فلسفة الابتلاء في ضوء القرآن والسنة.

منهج البحث

التزمت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والاستنباطي، القائمان على بذل أقصى جهد عقلي ونفسي، بهدف استخراج قوانين تربوية، مستنبطة من أدلتها التفصيلية، ومن ثم استخدمت هذين المنهجين بهدف استخراج فوائد وقيم من مواقف الأنبياء في الابتلاء بالأبناء، للاستفادة منها في عصرنا الحاضر.

خطة البحث

اشتمل البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث وخاتمة.

واشتملت المقدمة على أهمية البحث، ومشكلته، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

والمبحث الأول: بعنوان " البلاء سنة من سنن الله تعالى في خلقه". وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأدلة من القرآن.

المطلب الثاني: الأدلة من السنة.

المطلب الثالث: الحكمة في ابتلاء الأنبياء .

المبحث الثاني: "الابتلاء بالأبناء عموما". وفيه مطالبان:

المطلب الأول: الأحاديث الواردة في ذلك.

المطلب الثاني: ما يقال عند الابتلاء.

المبحث الثالث: "الابتلاء بالأبناء عند الأنبياء خصوصا". وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ابتلاء آدم عليه السلام.

المطلب الثاني: ابتلاء نوح عليه السلام.

المطلب الثالث: ابتلاء إبراهيم عليه السلام.

المطلب الرابع: الابتلاء بفقد الأبناء.

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج، وثبت المراجع.

المبحث الأول

البلاء سنة من سنن الله تعالى في خلقه

ليعلم المرء المسلم أن البلاء من سنن الله الكونية الجارية على عباده مؤمنهم وكافرهم، قال تعالى {**الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ**} العنكبوت:١، ٢. وبين سبحانه أن البلاء كما يكون بالشر يكون بالخير، {**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**} الأنبياء:٣٥. وكان من أشد الناس بلاءً الأنبياء لأن الله سبحانه وتعالى ابتلاهم بالنبوة، وابتلاهم بالدعوة إليه، وابتلاهم بقوم ينكرون ويصفونهم بصفات القدح والذم، وابتلى بعضهم في أبنائهم، ليكونوا القدوة والمثل الأعلى لأقوامهم وسائر العالمين أجمعين.

المطلب الأول: الأدلة من القرآن.

قال تعالى عن الابتلاء عامة في الأنبياء وغيرهم {**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**} البقرة:١٥٥. وقال تعالى{ **وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**}الأنبياء:٣٥. وقال تعالى{**الم* أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**}العنكبوت: ١– ٣. وقال تعالى عن موسى عليه السلام {**وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ**}طه:٤٠.وقال تعالى عن سليمان {**وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ**}ص:٣٤.وقال تعالى {**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ**}الأنعام:٤٢.وقال تعالى{**إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ**}ن:١٧.

إلى غير ذلك من الآيات التي تتحدث عن الابتلاء، وكونه سنة من سنن الله في خلقه.

المطلب الثاني: الأدلة من السنة.

عَنْ سَعْد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ , أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً ؟ قَالَ : "**الأَنْبِيَاءُ , ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ , فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ , فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ , وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ , فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**"(١).

---

(١) أخرجه الترمذي –السنن– أبواب الزهد باب ما جاء في الصبر على البلاء (٦٠١/٤) حديث رقم (٢٣٩٨) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه –السنن– كتاب الفتن باب الصبر على البلاء (١٣٣٤/٢) حديث رقم (٤٠٢٣).

وعَنْ أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا يَزَالُ البَلَاءُ بِالمُؤْمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»(١).

وعَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(٢).

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صل الله عليه وسلم قَالَ: «**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**"(٣). وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صل الله عليه وسلم قَالَ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ**"(٤). وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صل الله عليه وسلم: «**مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ المُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا**»(٥).

المطلب الثالث: الحكمة في ابتلاء الأنبياء .

١- بلوغ الغاية من الكمال، في صبرهم على ما ابتلاهم الله به.

٢- ليتسلى بهم من بعدهم من أممهم وخلفائهم إذا أوذوا من الناس فرأوا ما جرى على الرسل والأنبياء صبروا ورضوا وتأسوا بهم.

٣- لتمتلئ صاع الكفار فيستوجبون ما أعد لهم من النكال العاجل والعقوبة الآجلة فيمحقهم بسبب بغيهم وعداوتهم فيعجل تطهير الأرض منهم.

قال ابن القيم رحمه الله: " وإذا تأملت حكمته سبحانه فيما ابتلى به عباده وصفوته بما ساقهم به إلى أجلِّ الغايات وأكمل النهايات التي لم يكونوا يعبرون إليها إلا على جسر من الابتلاء والامتحان . . . وكان ذلك الابتلاء والامتحان عين الكرامة في حقهم ، فصورته صورة ابتلاء

---

(١) أخرجه الترمذي –السنن– أبواب الزهد باب ما جاء في الصبر على البلاء (٦٠١/٤) حديث رقم (٢٣٩٩) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه مسلم –المسند الجامع–كتاب الزهد والرقائق باب المؤمن أمره كله خير (٢٢٩٥/٤) حديث رقم (٢٩٩٩).

(٣) أخرجه الترمذي –السنن– أبواب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء (٦٠١/٤) حديث رقم (٢٣٩٦)، واللفظ له، وقال حسن غريب. وابن ماجه السنن–كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء (١٣٣٨/٢) حديث رقم (٤٠٣١).

(٤) أخرجه البخاري –الجامع الصحيح–كتاب المرض، باب ما جاء في كفارة المرض (١١٥/٧) حديث رقم (٥٦٤٥).

(٥) أخرجه البخاري –الجامع الصحيح–كتاب المرض، باب ما جاء في كفارة المرض، (١١٣/٧) حديث رقم (٥٦٤٠). ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، (١٩٩١/٤) حديث رقم (٢٥٧٢).

وامتحان ، وباطنه فيه الرحمة والنعمة ، فكم لله مِن نعمة جسيمة ومنَّة عظيمة تُجنى من قطوف الابتلاء والامتحان"(١).

(١) مفتاح دار السعادة (١/٢٩٩-٣٠١).

المبحث الثاني

الابتلاء بالأبناء عموما

الابتلاء في الأولاد من أعظم الابتلاء وأثقل الأنكاد، وهو نار تستعر في الفؤاد، وحرقة تضطرم في الأكباد، ولهذا كان ثواب الصبر على ذلك جزيلا، ويكون أجره في ميزانه يوم القيامة ثقيلا.

المطلب الأول: **الأحاديث الواردة في ذلك**:

ورد في السنة النبوية أحاديث كثيرة عن الابتلاء بالأبناء، وما أعده الله عز وجل من فضل للصابرين على هذا البلاء. ولضيق المقام أذكر نماذج من السنة النبوية على ذلك، فمنها على سبيل المثال: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لاَ يَمُوتُ لِمُسْلِمٍ ثَلاَثَةٌ مِنَ الوَلَدِ، فَيَلِجَ النَّارَ، إِلَّا تَحِلَّةَ القَسَمِ**»([١]).

وعنه قَالَ: أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَبِيٍّ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ ادْعُ اللهَ لَهُ، فَلَقَدْ دَفَنْتُ ثَلَاثَةً، قَالَ: «**دَفَنْتِ ثَلَاثَةً؟**» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «**لَقَدِ احْتَظَرْتِ بِحِظَارٍ شَدِيدٍ مِنَ النَّارِ**»([٢]).

وعنه أيضاَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " **يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ، إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ، إِلَّا الجَنَّةُ** "([٣]).

وعَنْ أَبِي حَسَّانَ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِيَ ابْنَانِ، فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَدِيثٍ تُطَيِّبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا؟ قَالَ: قَالَ: نَعَمْ، «**صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ**([٤]) **الْجَنَّةِ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ - أَوْ قَالَ أَبَوَيْهِ -، فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ - أَوْ قَالَ بِيَدِهِ -، كَمَا آخُذُ**

---

(١) أخرجه البخاري –الجامع الصحيح– كتاب الجنائز باب فضل من مات له ولد فاحتسب (٧٣/٢) حديث رقم (١٢٥١)، ومسلم –المسند الجامع– كتاب البر والصلة باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه (٢٠٢٨/٤) حديث رقم (٢٦٣٢).

(٢) أخرجه مسلم –المسند الجامع– كتاب البر والصلة باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه (٢٠٣٠/٤) حديث رقم (٢٦٣٦).

(٣) أخرجه البخاري –الجامع الصحيح– كتاب الرقاق بَابُ العَمَلِ الَّذِي يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ (٩٠/٨) حديث رقم (٦٤٢٤).

(٤) قال ابن ناصر الدمشقي: "الدغموص دويبة تغوص في الماء"، والغمس: الغوص. فهم يلعبون في أنهار الجنة. وقوله"صنفة ثوبك" بكسر النون طرفه، وهي جانبه الذي لا هدب له، ويقال: هي حاشية الثوب أي جانب كان. (برد الأكباد بفقد الأبناء ص٢٩).

أَنَا بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا، فَلَا يَتَنَاهَى – أَوْ قَالَ فَلَا يَنْتَهِي – حَتَّى يُدْخِلَهُ اللهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ»(١). وجاء في رواية "ينغمسون في أنهار الجنة".

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " **إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ** "(٢).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ قَدَّمَ ثَلَاثَةً لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ كَانُوا لَهُ حِصْنًا حَصِينًا مِنَ النَّارِ**» ، **قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَدَّمْتُ اثْنَيْنِ، قَالَ: «وَاثْنَيْنِ» ، فَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ سَيِّدُ القُرَّاءِ: قَدَّمْتُ وَاحِدًا، قَالَ: «وَوَاحِدًا، وَلَكِنْ إِنَّمَا ذَاكَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى» : «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَبِيهِ»**(٣).

وعَنْ أَبِي سَلْمَى، رَاعِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " **بَخٍ بَخٍ، مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَالْعَبْدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى لِلْمُسْلِمِ فَيَحْتَسِبُهُ** "(٤).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ: «**اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا**» ، فَاجْتَمَعْنَ، فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: «**مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ**

---

(١) أخرجه مسلم –المسند الجامع–كتاب البر والصلة باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه (٢٠٢٩/٤) حديث رقم (٢٦٣٥).

(٢) أخرجه الترمذي –السنن– أبواب الجنائز باب فضل المصيبة إذا احتسب (٣٣٢/٣) حديث رقم (١٠٢١). وقال: حديث حسن غريب.

(٣) أخرجه الترمذي –السنن– أبواب الجنائز باب ما جاء في ثواب من قدم ولدا (٣٦٧/٣) حديث رقم (١٠٦١) وقال غريب، وابن ماجه –السنن– كتاب الجنائز باب ما جاء في ثواب من أصيب بولده (٥١٢/١) حديث رقم (١٦٠٦). قلت: إسناده ضعيف، فيه أبو محمد مولى عمر بن الخطاب: قال الحافظ ابن حجر: مجهول. (تقريب التهذيب ص٦٧١).

(٤) أخرجه النسائي كتاب عمل اليوم والليلة من السنن الكبرى (٧٤/٩) حديث رقم (٩٩٢٣)، وأحمد –المسند– مسند المكيين، حديث مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم (٤٣٠/٢٤) حديث رقم (١٥٦٦٢).وصححه ابن حبان في صحيحه (١١٥/٣)، والحاكم في المستدرك (٦٩٢/١) حديث رقم (١٨٨٥) ووافقه الذهبي.

النَّارِ» ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوِ اثْنَيْنِ؟ قَالَ: فَأَعَادَتْهَا مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ**»(١).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟**» قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لَا يُولَدُ لَهُ، قَالَ: «**لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا**»(٢).

(١) أخرجه البخاري –الجامع الصحيح– كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أمته من الرجال والنساء مما علمه الله (١٠١/٩) حديث رقم (٧٣١٠)، ومسلم –المسند الصحيح– كتاب البر والصلة باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه (٢٠٢٨/٤) حديث رقم (٢٦٣٣).

(٢) أخرجه مسلم –المسند الجامع– كتاب البر والصلة باب فضل من يملك نفسه عند الغضب (٢٠١٤/٤) حديث رقم (٢٦٠٨).

المطلب الثاني: ما يقال عند الابتلاء.

ليقل من أصيب بمصيبة، أو نوع من البلاء، ما أمر به من الاسترجاع والدعاء، ومن ذلك ما صح من حديث أم المؤمنين أم سلمة زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " **مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}البقرة: ١٥٦، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَجَرَهُ اللهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا** "، قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ، رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

وعنها رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **إِذَا أَصَابَتْ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَقُلْ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ عِنْدَكَ أَحْتَسِبُ مُصِيبَتِي، فَآجِرْنِي فِيهَا، وَأَبْدِلْ لِي بِهَا خَيْرًا مِنْهَا** "(٢).

وعَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ، فَذَكَرَ مُصِيبَتَهُ، فَأَحْدَثَ اسْتِرْجَاعًا، وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَهُ يَوْمَ أُصِيبَ**»(٣).

ومما يؤثر من صبر من أصيب بأحبابه وتعزى بحسن العزاء على مصابه، ما صح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: كَانَ ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ يَشْتَكِي، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ، فَقُبِضَ الصَّبِيُّ، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ: مَا فَعَلَ ابْنِي؟ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: هُوَ أَسْكَنُ مِمَّا كَانَ، فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ الْعَشَاءَ فَتَعَشَّى، ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَتْ: وَارُوا الصَّبِيَّ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «**أَعْرَسْتُمُ اللَّيْلَةَ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**اللهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا**» فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: احْمِلْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَى بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَعَثَتْ مَعَهُ بِتَمَرَاتٍ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**أَمَعَهُ شَيْءٌ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، تَمَرَاتٌ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَضَغَهَا، ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْ فِيهِ، فَجَعَلَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ ثُمَّ

---

(١) أخرجه مسلم –المسند الجامع– كتاب الجنائز باب ما يقال عند المصيبة (٢/٦٣٢) حديث رقم (٩١٨).

(٢) أخرجه أبو داود –السنن– كتاب الجنائز باب في الاسترجاع (٣/١٩١) حديث رقم (٣١١٩)، والترمذي –السنن– أبواب الدعوات باب ما جاء في عقد التسبيح باليد(٥/٥٣٣) حديث رقم (٣٥١١).

(٣) أخرجه ابن ماجه –السنن– كتاب الجنائز باب ما جاء في الصبر على المصيبة (١/٥١٠) حديث رقم (١٦٠٠). قال البوصيري في المصباح (٢/٥٠) إسناد فيه هشام بن زياد وهو ضعيف.

حَنَّكَهُ، وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللهِ([1]). وفي رواية البخاري: قَالَ سُفْيَانُ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: فَرَأَيْتُ لَهُمَا تِسْعَةَ أَوْلاَدٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ القُرْآنَ.

يعني من أولاد عبد الله، الذي ولد له من جماع تلك الليلة، التي مات فيها الولد المذكور، وهو أبو عمير الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يداعبه، ويقول :«**يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ**»([2]).

ويروى عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه اشتكى له ابن فاشتد وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد خشينا على هذا الشيخ إن حدث بهذا الغلام حدث فمات الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما رجل أشد سروراً أبداً منه فقيل له في ذلك فقال ابن عمر إنما كان حزني رحمة له فلما وقع أمر الله رضينا به([3]).

---

(١) أخرجه البخاري –الجامع الصحيح– كتاب الجنائز باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة (٨٢/٢) حديث رقم (١٣٠١)، ومسلم –المسند الصحيح– كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي طلحة الأنصاري (١٩٠٨/٤) حديث رقم (١٤٥٧).

(٢) أخرجه البخاري –الجامع الصحيح– كتاب الأدب باب الانبساط إلى الناس (٣٠/٨) حديث رقم (٦١٢٩)، ومسلم –المسند الصحيح– كتاب الأدب باب اسْتِحْبَابِ تَحْنِيكِ الْمَوْلُودِ عِنْدَ وِلَادَتِهِ وَحَمْلِهِ إِلَى صَالِحٍ يُحَنِّكُهُ (١٦٩٢/٣) حديث رقم (٢١٥٠).

(٣) إحياء علوم الدين، للغزالي (٣٤٩/٤).

المبحث الثالث

الابتلاء بالأبناء عند الأنبياء خصوصا

اشتد الابتلاء بالأنبياء عليهم السلام، فمنهم من شهد قتل أحد أبنائه لأخيه, ومنهم من شهد مصرع ولده على الكفر، ومنهم من أمر بذبح ولده إرضاء لربه، ومنهم من ابتلي في ولده في تدينهم والتزامهم بدين الله، ومنهم من ابتلي بفقد ولده وأحب أبنائه إلى قلبه مدة طويلة، ومنهم سيدهم ﷺ من فقد كل أولاده في حياته ولم تمت بعده إلا إحدى بناته عليها السلام.

المطلب الأول: **ابتلاء آدم عليه السلام**.

إن أول جريمة على الأرض اقترفها الإنسان، كانت من قبل ابني آدم، حيث ابتلي عليه السلام بشهود قتل أحد أبنائه لأخيه، فكان أحدهما قاتلا، والآخر مقتولا([1])، قال تعالى **{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}** المائدة:٢٧([2]). فلم يكن القاتل على تدين والتزام بدين الله كي يردعه من الوقوع في جريرته.

أولا: الأسباب والدوافع:

اختلف في السبب الذي قربا لأجله قرباناً على قولين: أحدهما: أنهما فعلاه لغير سبب. والثاني: وهو أشهر القولين أن ذلك لسبب([3]).

واختلف في سبب قبول قربان أحدهما على وجهين: أحدهما: لأنه كان أتقى لله من الآخر لقوله: **{إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}**. الثاني: لأن المتقبل منه تقرب بخيار ماله, والآخر تقرب بشر ماله, فلم يُتَقَبّل منه, وهذا قول ابن عمر وأكثر المفسرين.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: " اختلف في اسم القاتل فالمشهور قابيل بوزن المقتول لكن أوله هاء وقيل اسم المقتول قين بلفظ الحداد وقيل قاين بزيادة ألف. (فتح الباري ٣٩٦/٦).

(٢) اختلف المفسرون في المراد بابني آدم على قولين: أحدهما أنهما من بني إسرائيل وهو قول الحسن البصري، والثاني: أنهما من صلب آدم عليه السلام وهو قول ابن عباس وابن عمر ومجاهد وقتادة. ورجح الطبري الثاني. (تفسير الطبري ٣١٦/٨، النكت والعيون، للماوردي ٢٧/٢).

(٣) ذكر أهل التفسير في سبب ذلك حكايات مرجعها إلى قصص وروايات أهل الكتاب ولم يصح منها شيء. ومن أراد المزيد فعليه بتفسير الطبري (٣١٦/٨، تفسير الماوردي (٢٧/٢)، الكشاف للزمخشري (٦٢٣/١) إلى غيرها من كتب التفسير.

واختلف في قربانهما هل كان بأمر آدم, أو من قبل أنفسهما على قولين: أحدهما: أنهما قربا بأمر آدم حين اختصما إليه. والثاني: أنهما قربا من قِبَل أنفسهما. واختلف في القاتل هل كان عند قتل أخيه كافراً أو فاسقاً؟ فقال قوم كان كافراً , وقال آخرون بل كان رجل سوء فاسقاً([1]).

والحاصل من الآيات بعيدا عن الاختلاف الوارد في تعيين الأشخاص، ونوع القربان، إلا أن ظاهر الآيات تخبر بأن المقتول قال لقاتله: إن كنت لا تنزجر عن هذه الكبيرة بسبب نصحي لك، فلا بد وأن تترصد قتلي في وقت أكون غافلا عنك، وعاجزا عن دفعك، فحينئذ لا يمكنني أن أدفعك عن قتلي إلا إذا قتلتك ابتداء بمجرد الظن والحسبان، وهذا مني كبيرة ومعصية، وإذا دار الأمر بين أن يكون فاعل هذه المعصية أنا وبين أن يكون أنت، فأنا أحب أن تحصل هذه الكبيرة لك لا لي.

ومن المعلوم أن إرادة صدور الذنب من الغير في هذه الحالة وعلى هذا الشرط لا يكون حراما، بل هو عين الطاعة ومحض الإخلاص. فعن الحسن مرسلا , عن النبي صلى الله عليه وسلم, أنه قال: "**إِنَّ ابْنَي آدَمَ ضَرَبَ مَثَلاً لِهَذِهِ الأَمَّةِ , فَخُذُوا مِنْ خَيرِهِمَا , وَدَعُوا شَرَّهُمَا**"([2]).

ثانيا: العلاج:

يظهر من سياق الآيات أن السبب في وقوع هذه الكبيرة، هو الحقد والحسد، جراء قبول قربان أحدهما عن الآخر، وقد جاء في طياتها العلاج لهذا الداء العضال المتمكن في بني آدم، في قوله تعالى {**لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**}المائدة:٢٨. قيل: كان المقتول أقوى من القاتل ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفاً من الله تعالى. لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لخالد بن عرفطة : " **يَا خَالِدُ إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَحْدَاثٌ وَفِتَنٌ وَاخْتِلَافٌ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ عَبْدَ اللهِ الْمَقْتُولَ لَا الْقَاتِلَ فَافْعَلْ** "([3]).

---

(١) مفاتيح الغيب = تفسير الرازي (٣٣٧/١١)، النكت والعيون (٢٧/٢).

(٢) أخرجه أحمد –المسند– مسند الأنصار، حديث عتي السعدي عن أبي بن كعب (١٦١/٣٥) حديث رقم (٢١٢٣٩)، وأبو داود في الزهد (١٨٢/١) بلفظ مقارب.

(٣) أخرجه أحمد –المسند– مسند الأنصار،حديث خالد بن عرفطة (١٧٧/٣٧) حديث رقم (٢٢٤٩٩)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨٩/٤) حديث رقم (٤٠٩٩)، والحاكم في المستدرك (٥٦٢/٤) وسكت عنه وكذا الذهبي في التلخيص، لكن قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٠٢/٧): "رواه أحمد والبزار والطبراني، وفيه علي بن زيد وفيه ضعف وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات".

قال البيضاوي: "إنما قال: مَا أَنَا بِباسِطٍ في جواب لَئِنْ بَسَطْتَ للتبري عن هذا الفعل الشنيع رأساً، والتحرز من أن يوصف به ويطلق عليه ولذلك أكد النفي بالباء"([1]).

جاء في الصحيحين ما يؤكد على هذه الجريمة وأن كل ما يقع منها يتحمله ابن آدم الأول. فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «**لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ**»([2]). قال النووي: " هذا الحديث من قواعد الإسلام وهو أن كل من ابتدع شيئا من الشر كان عليه مثل وزر كل من اقتدى به في ذلك العمل مثل عمله إلى يوم القيامة..."([3]). وقال الحافظ ابن حجر: "ووجه الاستدلال به أن القاتل المذكور يشارك من صنع صنيعه لكونه فتح له الباب ونهج له الطريق"([4]).

إذن يكمن العلاج لهذا المرض الحامل على القتل، في الخوف من الله والاستسلام لقضائه وقدره، ودفع صولة القاتل بالتذكير بالله، والأخذ فوق يديه لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «**تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ**»([5]).

المطلب الثاني: ابتلاء نوح عليه السلام.

كان نوح عليه السلام أول نبي ورسول إلى أهل الأرض، ومكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما، قال تعالى:{**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا**}النكبوت: ١٤. وكان قد كثرت فيهم المعاصي، وكثرت الجبابرة وعتوا عتوا كبيرا، وكان نوح عليه السلام يدعوهم ليلا ونهارا، سرا وعلانية، وكان صبورا حليما، ولم يلق أحد من الأنبياء أشد مما لقي نوح، فكانوا يدخلون عليه فيخنقونه حتى يترك وقيذا([6]).

ولما يئس نوح عليه السلام من إيمان قومه دعا عليهم {**رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا**}نوح:٢٦. وكان ممن حق عليه القول في الهلاك ابنه {**قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ**

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل =تفسير البيضاوي (١٢٣/٢).

(٢) أخرجه البخاري –الجامع الصحيح– كتاب أحاديث الأنبياء بَابُ خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ (١٣٣/٤) حديث رقم (٣٣٣٥)، ومسلم –المسند الجامع–كتاب القسامة باب بيان إثم من سن القتل (١٣٠٣/٣) حَديث رقم (١٦٧٧).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٦٦/١١).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٥٣/٣).

(٥) أخرجه البخاري –الجامع الصحيح–كتاب المظالم باب أعن أخاك ظالما أو مظلوما (١٢٨/٣) حديث رقم (٢٤٤٤).

(٦) تفسير القرطبي (٤٢/٩).

زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ}هود:٤٠، وكان يأمل إيمانه إلى آخر لحظة في حياته {يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين}هود: ٤٢. لكن أخبره سبحانه بأنه ليس من أهله {قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}هود:٤٦.

أولا: الأسباب والدوافع:

يرى الباحث أن هناك أسبابا ودوافع بعد قضاء الله وقدره، أدت إلى كفر ابن نوح وهي:

١- رفقاء السوء: حيث كان مع الكثرة التي خرجت عن تعاليم نوح عليه السلام، في توحيد الله تعالى، وترك عبادة الشرك والأوثان، فعبد ما عبده قومه وأشرك بالله تعالى، وكان ممن يتهم هو وأمه أباه بالجنون، كما قال ابن عباس(١).

٢- الكبر والغرور: يظهر ذلك في شخصية ابن نوح حينما ناداه بالركوب معه في السفينة، فأبى واستكبر على نداء أبيه، كما أبى واستكبر إبليس عن أمر ربه، فلعن وطرد الأخير، وغرق الأول، وظن بغروره أنه إذا التجأ إلى أي جبل سوف ينجو، وقد ورد في ذلك أقوال لا دليل عليها أعرضت عن ذكرها اكتفاء بقول الله تعالى فهو أصدق القائلين {قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ}هود:٤٣، قال الإمام الرازي : " وهذا يدل على أن الابن كان متماديا في الكفر مصرا عليه مكذبا لأبيه فيما أخبر عنه"(٢).

٣- كفر الأم: لقد كانت أم ابن نوح كافرة، قال تعالى {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ}التحريم:١٠. ولا شك ما للأم من دور في تنشئة وتربية وتوعية الأبناء، وهذا لا يقلل من دور الأب، ولا يعد تنقيصا، كما في قصتنا هذه(٣).

(١) تفسير الطبري (١٥/٣٤٣)، والمستدرك للحاكم (٢/٥٣٨).

(٢) تفسير الرازي (١٧/٣٥٢).

(٣)حكى الإمام الرازي في نسبة ابن نوح له ثلاثة أقوال: القول الأول: أنه ابنه حقيقة، وهو قول يدل عليه ظاهر النص، واختاره الإمام الشافعي. القول الثاني: أنه ابن امرأته –يعني ربيبه– وهو قول محمد الباقر، واختاره الحسن البصري. وفي قراءة تنسب لعلي كرم الله وجهه {وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهَا}والضَّمير لامرأته. القول الثالث: أنه ولد على فراشه لغير رشدة، والقائلون بهذا القول احتجوا بقوله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط "فخانتاهما". قال الرازي: "وهذا قول خبيث يجب صون منصب الأنبياء عن هذه الفضيحة لا سيما وهو على خلاف نص القرآن".

ثانيا: العلاج:

الابتلاء حق، وأنبياء الله ورسله هم القدوة والأسوة، فمن ابتلي –عياذا بالله– في أحد أبنائه بالعقوق، أو اختلاف الدين والملة، فليتذكر نبي الله نوح عليه السلام في ابتلائه بكفر ابنه، وليبحث عن الأسباب والدوافع التي دفعته لذلك، حتى يستطيع الوقوف على العلاج، وتلاشي هذه الأسباب. وتكمن في الأمور الآتية:

١–دعوة الأبناء إلى اختيار الرفقة الصالحة، وتذكيرهم بقول النبي صلى الله عليه وسلم "هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ"(١). قال الحافظ ابن حجر: "في هذه العبارة مبالغة في نفي الشقاء عن جليس الذاكرين فلو قيل لسعد بهم جليسهم لكان ذلك في غاية الفضل لكن التصريح بنفي الشقاء أبلغ في حصول المقصود"(٢). وتذكيرهم أيضا بقوله صلى الله عليه وسلم «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»(٣). وتحذيرهم من رفقاء السوء، فكما يقال: الصاحب ساحب، والمرء يعرف بقرينه، قال تعالى {وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} ص:٢٤.

٢–تعليم الأبناء التواضع، وبيان محاسنه وفوائده التي تعود على النفس، وما يؤول إليه من المودة والمحبة والمساواة بين الناس، ونشر الترابط ومحو الحسد والبغض والكراهية من قلوب الناس. قال تعالى {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}الفرقان:٦٣. قال ابن جرير: "بالحلم والسكينة والوقار غير مستكبرين، ولا متجبرين، ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصي الله"(٤). وقد دعا النبي صلى الله عليه

قلت: جمهور العلماء من الفقهاء والمحدثين والمفسرين على أنها خيانة المعتقد لا الفراش، والدليل على ذلك قول ابن عباس: "كانت امرأة نوح تقول: زوجي مجنون، وامرأة لوط تدل الناس على ضيفه إذا نزلوا به". تفسير الشافعي (٢/٩٧٣)، مفاتيح الغيب =تفسير الرازي (١٧/٣٥١)، تفسير الطبري (١٥/٣٤٣)..

(١) أخرجه البخاري –الجامع الصحيح– كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله عز وجل (٨/٦٨) حديث رقم (٦٤٠٨)، ومسلم –المسند الجامع– كتاب الذكر والدعاء باب فضل مجالس الذكر (٤/٢٠٦٩) حديث رقم (٢٦٨٩).

(٢) فتح الباري (١١/٢١٣).

(٣) اخرجه البخاري –الجامع الصحيح– كتاب البيوع باب في العطار وبيع المسك (٣/٦٣) حديث رقم (٢١٠١)، ومسلم –المسند الجامع– كتاب البر والصلة بابُ اسْتِحْبَابِ مُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ، وَمُجَانَبَةِ قُرَنَاءِ السُّوءِ (٤/٢٠٢٦) حديث رقم (٢٦٢٨).

(٤) تفسير الطبري (١٩/٢٩٣).

وسلم إلى التواضع وحث عليه بقوله: «وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»(١). قال علي القاري: "وفي الجمع بينهما إشعار بأن الفخر والبغي نتيجتا الكبر؛ لأن المتكبر هو الذي يرفع نفسه فوق كل أحد ولا ينقاد لأحد"(٢). وهو ما حدث مع ابن نوح حيث تكبر ولم ينقاد لنداء أبيه.

٣- اختيار الزوجة الصالحة: حيث إن من نعم الله تعالى على عبده أن يرزقه زوجة صالحة، تعينه على طاعة الله، واجتناب محارمه، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ، إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ»(٣). وقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم بالزواج لا سيما من ذات الدين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: " تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ "(٤). ومن علامات صلاحها إعانته على قيام الليل عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «...رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى، نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم –المسند الجامع– كتاب الجنة وصفة نعيمها باب الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ (٢١٩٨/٤) حديث رقم (٢٨٦٥).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٠٧٢/٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه –السنن– كتاب النكاح باب أفضل النساء (٥٩٦/١) حديث رقم (١٨٥٧). وله شاهد عن ابن عباس: أخرجه ابو داود –السنن– كتاب الزكاة باب في حقوق المال (١٢٦/٢) حديث رقم (١٦٦٤). قال المناوي في فيض القدير (٤١٩/٥): رمز المصنف –السيوطي– لحسنه وليس كما قال فقد ضعفه المنذري بعلي بن يزيد وقال ابن حجر في فتاويه: سنده ضعيف لكن له شاهد يدل على أن له أصلا. ووجه ضعفه أن فيه ابن هشام بن عمار وفينه كلام وعثمان بن أبي عاتكة قال في الكاشف: ضعفه النسائي ووثق وعلي بن زيد ضعفه أحمد وغيره.

(٤) أخرجه البخاري –الجامع الصحيح– كتاب النكاح باب الأكفاء في الدين (٧/٧) حديث رقم (٥٠٩٠)، ومسلم –المسند الجامع– كتاب النكاح باب استحباب نكاح ذات الدين (١٠٨٦/٢) حديث رقم (١٤٦٦).

(٥) أخرجه أبو داود –السنن– كتاب الصلاة باب قيام الليل (٣٣/٢) حديث رقم (١٣٠٨)، والنسائي –المجتبى– كتاب قيام الليل باب الترغيب في قيام الليل (٢٠٥/٣) حديث رقم (١٦١٠)، وابن ماجه –السنن– كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء فيمَنْ أَيْقَظَ أَهْلَهُ من اللَّيْلِ (٤٢٤/١) حديث رقم (١٣٣٦)، وإسناده صحيح رواته ثقات.

المطلب الثالث: **ابتلاء إبراهيم عليه السلام**.

ابتلي نبي الله إبراهيم عليه السلام، بابتلاءات كثيرة {**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ**} البقرة:١٢٤. وكان منها:

أولا: الابتلاء بترك الأهل في الدهناء(١).

بعد أن رُزق الخليل، ووهبه الله الولد، أُمر أن يأخذه إلى مكان دهناء لا زرع فيه ولا ماء، فاستجاب الخليل لأمر ربه قائلا: {**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ**}إبراهيم:٣٧. وبعد هذه الطاعة والاستجابة لأمر الله منحه زوجة صالحة، مستجيبة لأمر الله تعالى، فعن ابن عباس رضي الله عنهما كما في الصحيح :" **فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوَادِي، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لاَ يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ**"(٢).

وبعد استجابة هاجر عليها السلام لقضاء الله تعالى، منحها عينا معينا لها ولطفلها وللبشرية بعدها إلى قيام الساعة، وهي ماء زمزم، فما أعظمها من منح وعطايا بعد الصبر على البلاء، ففي الصحيح " ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ، فَإِذَا هِيَ بِصَوْتٍ، فَقَالَتْ: أَغِثْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ خَيْرٌ، فَإِذَا جِبْرِيلُ، قَالَ: فَقَالَ بِعَقِبِهِ هَكَذَا، وَغَمَزَ عَقِبَهُ عَلَى الأَرْضِ، قَالَ: فَانْبَثَقَ المَاءُ، فَدَهِشَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَعَلَتْ تَحْفِزُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: " **يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ – أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ –، لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا** " **قَالَ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا المَلَكُ: لاَ تَخَافُوا الضَّيْعَةَ، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ، يَبْنِي هَذَا الغُلاَمُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَهْلَهُ...**"(٣).

ثانيا: الابتلاء بالذبح.

كان إبراهيم عليه السلام يزور أهله وولده بين الفينة والفينة، كما ورد في الصحيح، ولما شب الصبي وبلغ مبلغ الغلمان، وبلغ معه السعي، كانت تأتي إبراهيم عليه السلام في منامه رؤيا،

---

(١) قال الخليل بن أحمد: " الدَّهناءُ: مَوْضعٌ كلُّه رمل. (العين: باب الهاء والدال والنون ٢/٣٠٨).

(٢) أخرجه البخاري –الجامع الصحيح– كتاب أحاديث الأنبياء بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا}(١٤٢/٤) حديث رقم (٣٣٦٤).

(٣) المرجع السابق.

فيها الأمر بذبح ولده وفلذة كبده، **{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى}**الصافات:١٠٢. ويؤكد على تكرارها وورودها بصيغة المضارع، فلم تكن ثمة رؤيا واحدة. قال الرازي: "فلما أدرك وبلغ الحد الذي يقدر فيه على السعي –قيل كان في ذلك الوقت ابن ثلاث عشرة سنة– ...**والفائدة** في اعتبار هذا المعنى أن الأب أرفق الناس بالولد، وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لأنه لم تستحكم قوته... **والمقصود** من هذا الكلام أن الله تعالى لما وعده في الآية الأولى بكون ذلك الغلام حليما، بين في هذه الآية ما يدل على كمال حلمه، وذلك لأنه كان به من كمال الحلم وفسحة الصدر ما قواه على احتمال تلك البلية العظيمة، والإتيان بذلك الجواب الحسن"(١). **{فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}**الصافات: ١٠٣. قال مجاهد: " أسلما: سلما ما أمرا به، وتله: وضع وجهه بالأرض"(٢).

وهنا تأتي المنحة الربانية، والكرامة الألهية، **{وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ}**الصافات:١٠٧. قال الإمام أحمد: " وأمر الله جل وعز خليله إبراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه، فلما هم بذلك فداه بذبح عظيم، فثبت أن التقرب بإراقة الدماء لوجه الله عز وجل سنة الأنبياء، صلوات الله عليهم، وأنها من جملة ما أمرنا بالاقتداء بهم فيه "(٣). وقال ابن الجوزي: "خلَّصْناه من الذَّبح بأن جعلنا الذّبح فداءً له"(٤).

ثالثا: من الذبيح؟

اختلف في كون الذبيح إسماعيل أم إسحاق على قولين:

القول الأول: يرى أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام. وينسب هذا القول إلى عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، والعبّاس بن عبد المطلب، وابن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وأبو هريرة، وأنس، رضي الله عنهم، وكعب الأحبار، ووهب بن منبّه، ومسروق، وعبيد بن عمير، والقاسم بن أَبي بَزّة، ومقاتل بن سليمان، واختاره ابن جرير.

---

(١) تفسير الرازي (٣٤٦/٢٦).

(٢) أخرجه البخاري –الجامع الصحيح– كتاب التعبير باب رؤيا إبراهيم عليه السلام. معلقا (٣١/٩).

(٣) شعب الإيمان، للبيهقي (٤٤٠/٩).

(٤) زاد المسير (٥٤٦/٣).

وحجتهم: أن هذه القصة كانت بالشام، وأن أول الآية وآخرها يدل على ذلك، وما اشتهر من كتاب يعقوب إلى يوسف عليه السلام من يعقوب إسرائيل نبي الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله ([1]).

القول الثاني: يرى أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، وينسب هذا القول إلى ابن عمر، وعبد الله بن سلام رضي الله عنهما، والحسن البصري، وسعيد بن المسيّب، والشعبي، ومجاهد، ويوسف بن مهران، وأبو صالح، ومحمد بن كعب القرظي، والربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن سابط. واختاره الإمام الرازي وابن الجوزي.

وحجتهم في ذلك: أن الله تعالى وصف إسماعيل بالصبر دون إسحاق في قوله: **{وَإِسْماعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ}**الأنبياء: ٨٥. وهو صبره على الذبح، ووصفه أيضا بصدق الوعد في قوله: **{إِنَّهُ كانَ صادِقَ الْوَعْدِ}**مريم: ٥٤. لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به. واحتجوا أيضا بقوله صلى الله عليه وسلم: «**أَنَا ابْنُ الذَّبِيحَيْنِ**»([2]).

واستدلوا أيضا بالأخبار الكثيرة في تعليق قرن الكبش بالكعبة، فكان الذبيح بمكة. ولو كان الذبيح إسحاق لكان الذبح بالشام([3]). واختلفت الرواية عن ابن عباس، فروى عنه عكرمة أنه إسحاق، وروى عنه عطاء، ومجاهد، والشعبي، وأبو الجوزاء، ويوسف بن مهران أنه إسماعيل، وروى عنه سعيد بن جبير كالقولين. وعن سعيد بن جبير، وعكرمة، والزهري، وقتادة، والسدي روايتان. وكذلك عن أحمد رضي الله عنه روايتان([4]).

الراجح :

يترجح لدى الباحث أن الراجح هو القول الثاني لقوة أدلته، وأن ما بنى به أرباب القول الأول من الأدلة، مبناه على ما ورد عن أهل الكتاب، وهذا لا يسلم لهم. قال ابن كثير رحمه الله: " نصّ في كتاب أهل الكتاب أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده وفي نسخة: بكره، فأقحموا ها

---

(١) تفسير الطبري (٧٩/٢١)، تفسير الرازي (٣٤٧/٢٦)، زاد المسير (٥٤٦/٣).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٦٠٩/٢) من حديث ابن عباس. وقال الذهبي: إسناده واه، وقال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣٠٠/٨) غريب. وقال أبو المحاسن القاوقجي في اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع (ص٤٩) لم يرد بهذا اللفظ.وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٧٨/١٢): "أطنب ابن القيم في الهدي في الاستدلال لتقويته". وورد في تفسير الذبيحين من قول معاوية، عند الحاكم أيضا (٦٠٤/٢) وسكت عنه،

(٣) تفسير الرازي (٣٤٧/٢٦).

(٤) زاد المسير (٥٤٧/٣).

هنا كذبا وبهتانا «إسحاق» ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم، وإنما أقحموا «إسحاق» لأنه أبوهم، وإسماعيل أبو العرب، فحسدوهم، فزادوا ذلك وحرّفوا وحيدك بمعنى الذي ليس عندك غيره، فإن إسماعيل كان ذهب به وبأمه إلى جنب مكة وهذا تأويل وتحريف باطل. فإنه لا يقال: وحيد إلا لمن ليس له غيره، وأيضا فإن أول ولد له معزّة ما ليس لمن بعده من الأولاد، فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار"(1).

رابعا: الابتلاء بتأخر الإنجاب، أسبابه وعلاجه.

ابتلي خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام بعدم الإنجاب حتى بلغ سن الشيخوخة، وظل محروما من الأبوة فترة طويلة من الزمن، لذلك لما بشرته الملائكة **{قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ}**الحجر:٥٤. ولما بشرت سارة **{قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ}**هود:٧٢. قال ابن جرير: "إنها كانت يومئذ ابنة تسع وتسعين سنة، وإبراهيم ابن مائة سنة"(2).

لكن هذا السبب ليس عاما ومانعا مباشرا من الإنجاب، فهناك من بلغ الكبر من الرجال والنساء ويرزقون الأولاد. وإنما هناك ثمة سبب آخر ذكر في كتاب الله هو الأساس في المنع من الإنجاب، ألا وهو العقم(3)، قال تعالى **{لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ ما يَشاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِناثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَإِناثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ}**الشورى ٤٩، ٥٠. لذا أضافت سارة إلى كونها عجوز أنها عقيم **{وَقالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ}** الذاريات:٢٩.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١٩/٤– ٢١).

(٢) تفسير الطبري (٣٩٨/١٥). وذكر الرازي اختلاف العلماء حول سن إبراهيم عليه السلام وسارة إلى أربعة أقوال: أحدها: أنه كان ابن تسع وتسعين سنة، وهي بنت ثمان وتسعين، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه كان ابن مائة سنة، وهي بنت تسع وتسعين، قاله مجاهد. والثالث: كان ابن تسعين، وهي مثله، قاله قتادة. والرابع: كان ابن مائة وعشرين سنة، وهي بنت تسعين، قاله عبيد بن عمير، وابن إسحاق. (تفسير الرازي ٣٨٧/٢).

(٣) قال الراغب الأصفهاني: "أصل الْعُقْم: اليبس المانع من قبول الأثر يقال: داء عُقَامٌ: لا يقبل البرء، والعَقِيمُ من النّساء: التي لا تقبل ماء الفحل. وريح عقيم: يصح أن يكون بمعنى الفاعل، وهي التي لا تلقح سحابا ولا شجرا، ويصح أن يكون بمعنى المفعول كالعجوز العقيم، وهي التي لا تقبل أثر الخير، وإذا لم تقبل ولم تتأثر لم تعط ولم تؤثر. (المفردات في غريب القرآن. ص ٥٧٩).

والعقيم من النساء التي لا تلد[1]، قال الرازي: " استبعدت ذلك لوصفين من اجتماعهما أحدهما: كبر السن والثاني: العقم، لأنها كانت لا تلد في صغر سنها، وعنفوان شبابها، ثم عجزت وأيست فاستبعدت"[2].

وهنا يأتي السؤال: هل للعقيم أن تلد؟

الإجابة: نعم، من ناحيتين:

الأولى: القرآن الكريم والسنة النبوية لا يوجد فيهما نفي لذلك، وما ورد فيهما ما هو إلا عبارة عن التعجب لقدرة الله تعالى، من قبل الخليل حينما قال "أبشرتموني"، وزوجه قالت "ءألد"، لكن قدرة الله تعالى لا يقف حيالها شيء، فقالت الملائكة ردا على إبرهيم **{قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ}**الحجر:٥٥. أي لا تيأس من رحمة الله. وردت على سارة **{قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ}**الذاريات:٣٠.

والمعنى: إنّما نخبرك عن الله عزّ وجلّ، وهو حكيم عليم يَقْدِر أن يَجعل العقيم وَلُوداً([3]).

بل في القرآن الكريم ما يؤكد على وسيلة من وسائل الإنجاب وهي الاستغفار، قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام **{فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا}**نوح: ١٠- ١٣.

فالاستغفار سبب لنزول المطر، وتتابع الأموال والبنين، قال الطبري: " قال ذلك لهم نوح، لأنهم كانوا فيما ذُكر قوم يحبون الأموال والأولاد"([4]).

وشكى رجل إلى الحسن الجرب فقال له: استغفر الله، وشكى إليه آخر الفقر، فقال: استغفر إليه، وقال له آخر: ادع الله أن يرزقني ولدا، فقال له استغفر الله، فقيل له في ذلك، فنزع بهذه الآية. قال ابن عطية: " والاستغفار الذي أحال عليه الحسن ليس هو عندي لفظ الاستغفار فقط، بل الإخلاص والصدق في الأعمال والأقوال"([5]).

الثانية: من ناحية النظر إلى التقدم الطبي الهائل، وما توصلت إليه البشرية من تقنيات حديثة في عصرنا الحاضر، يقل التعجب الذي أصاب الخليل وزوجه عليهما السلام، فليس ثمت

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (١٧٨/٥).
(٢) تفسير الرازي (١٧٧/٢٨).
(٣) زاد المسير (١٧١/٤).
(٤) تفسير الطبري (٦٣٣/٢٣).
(٥) تفسير ابن عطية (٣٧٤/٥).

عجب حينما نسمع عن رجل وامرأة أنجبا بعد مرور العشرات من السنين، وأن امرأة أنجبت بدون معاشرة، عن طريق التليقح الصناعي. فاللجوء إلى الطب ضروري لمن ابتلي بتأخر الإنجاب. وفوق كل ذي علم عليم.

المطلب الرابع: **ابتلاء يعقوب عليه السلام**.

- **ابتلاء يعقوب عليه السلام بفقد يوسف.**

كان يوسف عليه السلام أحبّ أولاد يعقوب إليه، وأعلاهم منزلةً في قلبه، فأراد الله –تعالى– أن يبتلي صبره بفراق ولده مدّةً طويلةً من الزمن، حيث كان إخوة يوسف الاثنا عشر يشعرون بالغيرة من أخيهم، ويرون أنّه قد شغل قلب أباهم عنهم، فأرادوا أن يتخلّصوا منه؛ حتى يصفى لهم أبوهم، فدبّروا لذلك مكيدةً وحيلةً، فأخذوا يوسف عليه السلام بحجّة التنزّه واللعب، ثمّ ألقوه في بئرٍ عميقةٍ، وأخذوا قميصه بعد أن لوّثوه بدمٍ كذب؛ حتى يقتنع والدهم بصدق روايتهم، وعندما أصبح يوسف عليه السلام عزيز مصر، وجاء إخوته يستطعمونه عرفهم يوسف، فأراد أن يأتي بوالده وشقيقه إليه، فأحجم عن إعطائهم نصيبهم من الطعام حتى يأتوا بأخيهم الأخير، فلمّا حضر الإخوة ببنيامين شقيق يوسف، أبقاه يوسف عليه السلام عنده بالحيلة، ففقد الأب ولديه الاثنين، إلّا أنّ غياب بنيامين لم يطُل؛ لأنّ يوسف أخبر إخوته بحقيقة أمره، إلّا أنّ غياب يوسف عليه السلام نفسه عن أبيه بسبب كلّ الظروف ظلّ ما يقارب أربعين سنة، وقيل في روايةٍ أخرى: ثمانين سنة، وقيل غير ذلك(1)، وكان الأب يعقوب –عليه السلام– في كلّ السنوات صابراً محتسباً، فلم يفقد الأمل بعودة ولده، ولم يقنط من رحمة الله تعالى. قال الإمام الرازي : " لا يبعد أن يكون ذلك من تمام تشديد الله تعالى على يعقوب كأنه قيل له: إنك كنت دائم الرغبة في وصاله ودائم الحزن بسبب فراقه"(2).

- **أسباب اشتداد الفراق لدى يعقوب عليه السلام.**

فقد الأبناء وفلذات الأكباد من المصائب الشداد التي يُبتلى بها أي إنسان، لكن في جانب يعقوب عليه السلام كانت البلوى أكثر اشتداد، وذلك لأمور ذكرها الشيخ محمد أبو زهرة في ثلاث نقاط، وأسماها عاطفة، فقال: "نلاحظ فيه ثلاث عواطف، كل واحدة تجري على لسانه:

---

(1) زاد المسير (٢/٤٧٤).

(2) تفسير الرازي (١٨/٥١٢).

أولها: ألم الفراق الذي أصاب نفسه، لقد كان ولده الحبيب المقرّب الصغير، والصغر ذاته يجلب المحبَّة ويجعله أكثر قربًا، وآثر بالمحبة من غير أن يفقد أحد من أولاده محبته، فالحب الأبوي يقبل الاشتراك، ولكن في تفاوت بالسن، وبالقرب وبالخلق، وبالمخايل التي تدل على الانفراد بمزايا دون غيره([1]).

والثانية: إنَّ الذين كرثوه بهذه الكارثة التي هدَّت كيانه، وجعلت عيناه تبيضان من الحزن، هم أولاده وأفلاذ كبده، فلا يمكن أن يكونوا أعداءه، ولا يمكن أن يبغضهم، لأنَّ بغضهم يكون ضد الفطرة، وتلك حال لا يصبر عليها إلَّا أولوا النفس القوية التي هي نفوس الأنبياء والصديقين، وفي الموقف الذي وقفه الشيخ من إحساسه بالألم من أولاده، مع إحساسه بعاطفته مجال للدرس والتحليل، وجَّه القرآن الكريم إليه أنظار الدارسين والفاحصين([2]).

الثالثة: إنَّ يعقوب –عليه السلام– كان في قلبه إحساس عميق بأنه سيلقى ابنه في المستقبل، إن لم يكن في القريب العاجل ففي البعيد الآجل، فهو إذ يتهم أبناءه، ويقول لهم: **{بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا}** يقول أيضًا صابرًا: **{فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}**يوسف:١٨. ويقول وقد غاب عنه ابنه الثاني بعد أن تباعد الزمان، وأن يكون قد غمّى على الموضوع النسيان: **{بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}**يوسف:٨٣. وإن ذلك الإحساس الكريم الذي يتغلغل في النفس المؤمنة موضع تحسن دراسته وتعرفه، ولا شكَّ أن هذا ليس من خواصِ الأنبياء، بل طبيعة في النفوس المؤمنة الطاهرة الملهمة من غير وحي، إنما هي الصفاء النفسي ([3]).

- **الأسباب الحاملة على فعل إخوة يوسف.**

ذكر القرآن الكريم الأسباب التي حملت أخوة يوسف، ودفعتهم إلى بعد يوسف عن أبيه، وهي كالتالي:

١– الحسد: ويظهر ذلك في قوله تعالى {إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ} يوسف:٨. قال الرازي : " بين أن إخوة يوسف بالغوا في إيذائه لأجل الحسد وبالآخرة فإن الله تعالى نصره وقواه وجعلهم تحت يده ورايته، ومثل هذه الواقعة إذا سمعها العاقل كانت زجرا

(١) المعجزة الكبرى القرآن (ص٣٨٤).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

له عن الإقدام على الحسد"(1). وقال أبو زهرة: "وهنا يصل الحسد الشيطاني إلى غايته: {اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ}يوسف: ٩(2). وقال ابن بطال: " كان تبين له الحسد منهم له، وهذا أصل أن لا تقص الرؤيا على غير شفيق ولاناصح، ولاتقص على من لا يحسن التأويل"(3).

٢- المكر والخداع: قال تعالى {قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا}يوسف:٥. قال الألوسي: " أي فيحتالوا لإهلاكك حيلة عظيمة لا تقدر على التقضي عنها أو خفية لا تتصدى لمدافعتها"(4).

٣- نزغ الشيطان: لا شك أن للشيطان يد في مثل هذه الابتلاءات بعد قضاء الله، لا سيما وأن الدافع النفسي المريض موجود، فبالتالي يكون استغلاله مدخلا للشيطان أسهل، قال تعالى {مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي}يوسف:١٠٠. قال ابن منظور: " نزغ الشيطان: وساوسه ونخسه في القلب بما يسول للإنسان من المعاصي، يعني يلقي في قلبه ما يفسده على أصحابه"(5). وقال الخليل: "نزغ الشيطان بين القوم نزغا حمل بعضهم على بعض بالفساد"(6). لكن إذا تغلب الإنسان على نفسه، فيصعب أن يجد الشيطان سبيلا إلى ذلك، قال تعالى {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}الحجر:٤٠. والمخلص من أخلصه الله واصطفاه، ومن خلص نفسه من الأدران الظاهرة والباطنة.

المطلب الخامس: ابتلاء أيوب عليه السلام.

لقد كان ابتلاء أيوب عليه السلام مختلفا عن ابتلاء يعقوب عليه السلام تماما، فقد ابتلي في جسده وأهله وولده قال تعالى {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}الأنبياء:٨٣.

(١) تفسير الرازي (٤٢٢/١٨).

(٢) المعجزة الكبرى القرآن (ص٣٧٩).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥٢٠/٩).

(٤) روح المعاني (٣٧٣/٦).

(٥) لسان العرب، فصل النون (٤٥٤/٨).

(٦) العين، باب الغين والزاي والفاء (٣٨٤/٤).

وقال تعالى مخاطبا نبيه وحبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ص:٤١. عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"إنَّ نَبِيَّ الله أيُّوبَ لَبِثَ بِهِ بَلاؤه ثَمانِيَ عَشْرَةَ سَنَة، فَرَفَضَه القَرِيبُ وَالبَعِيدُ..."(١). وعن عبد الرحمن بن جُبَير، قال: لما ابتُلي نبيّ الله أيوب صلى الله عليه وسلم بماله وولده وجسده... جعلت امرأته تخرج تكسب عليه ما تطعمه..."(٢).

قال الرازي: "اعلم أن في أمر أيوب عليه السلام وما ذكره الله تعالى من شأنه هاهنا وفي غيره من القرآن من العبر والدلائل ما ليس في غيره، لأنه تعالى مع عظيم فضله أنزل به من المرض العظيم ما أنزله مما كان عبرة له ولغيره ولسائر من سمع بذلك وتعريفا لهم أن الدنيا مزرعة الآخرة، وأن الواجب على المرء أن يصبر على ما يناله من البلاء فيها، ويجتهد في القيام بحق الله تعالى ويصبر على حالتي الضراء والسراء"(٣).

وقد ذكر أهل التواريخ والتفاسير: أن أيوب كان رجلاً كثير المال، وأنه كان عنده أنعام، وعبيد، ومواشي، وأراضي إلى آخره، وكان له أولاده وأهلون كثر حتى حل به البلاء، وفقد الأموال، وفقد الأهل، .... وانقطع عنه الناس، ولم يبق أحد يحنو عليه إلا زوجته، كانت ترعى له حقه، وتعرف قديم إحسانه إليها، وشفقته عليها، فكانت تتردد إليه، وتصلح من شأنه، وتعينه على قضاء حاجته، وتقوم بمصلحته حتى ضعف حالها هي الأخرى، وقل مالها ... وهي صابرة معه على ما حل به من فراق المال والولد، والمصيبة، وضيق ذات اليد، والعمل عند الناس، والتعب، وترجع تتعب مع الزوج هذا، ومع ذلك لم يزدها إلا إشفاقًا وصبرًا، ولم يزد هذا أيوب إلا احتسابًا وحمدًا وشكرًا(٤).

- **المنحة بعد المحنة.**

لقد منح الله عز وجل أيوب عليه السلام بعد محنته الشديد، منحا كثيرة منها:

١- أنه عافاه بعد بلاء استمر ثماني عشرة سنة.

٢- وهب له أهله وولده وماله.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢١/٢١).

(٢) المرجع السابق.

(٣) تفسير الرازي (١٧١/٢٢).

(٤) البداية والنهاية (٢٢١/١).

٣- أمطر عليه جرادا من ذهب.

٤- جعل له لسان صدق في العالمين، حيث ضرب به المثل في الصبر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى، قَالَ بَلَى يَا رَبِّ، وَلَكِنْ لاَ غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ**»(١). ووقع من طريق بشير بن نهيك عن أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "**لَمَّا عَافَى اللَّهُ أَيُّوبَ أَمْطَرَ عليه جراداً من ذهب**"(٢).

قال تعالى {**وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ**}]ص: ٤٣. قال بعض المفسرين: "أحياهم الله له لأنهم ماتوا وهلكوا من قبل

وقال الحسن وقتادة: أحياهم الله بأعيانهم، وزاده مثلهم"(٣). وقال القاسمي في تفسيره: "جمعهم الله إليه بعد تفرقهم"(٤)، وقضية الإحياء هذه فيها نظر، فإنه ليس عندنا دليل أنهم ماتوا، لكن ممكن أنهم تفرقوا عنه، انفضوا عنه فيمن انفض، ولم تبق إلا تلك الزوجة الوفية، فرد الله إليه أهله ومثلهم معهم، وآتاه الله مزيدًا من الأهل مضاعفًا، وأذهب الله تعالى مرضه وفقره، وأذهب فقده لأهله، فرجعوا إليه، ومثلهم معهم، وأعطاهم المال العظيم، والأولاد، والصحة، وبارك له فيما آتاه {**رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا**}الأنبياء: ٨٤، بأيوب عليه السلام حيث صبر فاستحق هذا الفرج.

المطلب السادس: ابتلاء زكريا عليهما السلام.

ابتلي نبي الله زكريا عليه السلام أيضا بتأخر الإنجاب، حتى بلغ من الكبر عتيا(٥)،{**وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا**}مريم:٨. وكان زكريا عليه السلام يومئذ ابن خمس وسبعين سنة، وقيل ابن

---

(١) أخرجه البخاري –الجامع الصحيح– كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: {وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين}(١٥١/٤) حديث رقم (٣٣٩١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٦٣٦/٢) حديث رقم (٤١١٦) وقال «هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

(٣) تفسير النيسابوري (٣٨٥/٦).

(٤) تفسير القاسمي (٢٦٢/٨).

(٥) عتيا: أي يبسا، قال قتادة: يريد نحول العظم، يقال: عتا الشيخ يعتو عتيا وعسيا: إذا انتهى سنه وكبر، وشيخ عات وعاس: إذا صار إلى حالة اليبس والجفاف. (تفسير البغوي ٢٢٦/٣).

تسعين، وقيل ابن مائة وعشرين سنة(١)، وأصبح واهن العظم ومشتعل الرأس شيبا {**وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً**}مريم:٤. وكان دائم التردد على مريم وقت كفالتها، وكلما دخل عليها وجد عندها رزقا{**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا**}آل عمران: ٣٧. ولما سألها عن مصدر هذا الرزق قالت هو من عند الله {**قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**}. هنالك فطن عليه السلام للأمر وعلم أن من أراد شيئا، ولو كان مستحيلا في حق البشر، إلا أنه لا يستحيل على الله شيء، فظل يدعو ربه أن يرزقه الولد {**رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ**}آل عمران:٣٨. {**رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ**} الأنبياء:٨٩. أي وحيدا لا وراث لي {**يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ**} مريم:٦.

فاستجاب الله له، فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في محرابه، يا زكريا جئناك بالبشرى من عند الله أنه يبشرك بغلام اسمه يحيى، وقد أصلحنا لك زوجك،{**فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَوَهَبْنا لَهُ يَحْيى وَأَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ**}الأنبياء:٩٠. قال مقاتل: " يعني امرأته فحاضت وكانت لا تحيض من الكبر"(٢). ولعظم العطاء الإلهي الذي وهبه إياه، تعجب كما تعجب خليل الرحمن، فقال {**رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا**}مريم:٨. فالسبب في تأخر الإنجاب في نظر زكريا عليه السلام كونه قد بلغ من الكبر عتيا، ووهن العظم منه، واشتعل رأسه شيبا، ومع هذا امرأته عاقر(٣).

العاقر: التي لم تلد، قال الراغب: " كأنها تعقر ماء الفحل"(٤). والحاصل: أن العقر أمر ينزل بالمرأة من عاهة أو مرض يمنعها من الولادة. ويطلق على النساء فقط على قول أكثر أهل العلم، وقال بعضهم يطلق على الرجال والنساء فيقال: رجل عاقر، قال ابن الأعرابي: "هو الذي يأتي النساء، فيحاضنهن ويلامسهن، ولا يولد له"(٥).

وعليه فالعقر أخف من العقم، لأن العقر شيء طارئ، بخلاف العقم فيكون في أصل الخلقة، وتأكيد ذلك من كلام ربنا، ففي زوجة الخليل عليه السلام قال تعالى {**قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ**

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٦٢١/٢)، بحر العلوم =تفسير السمرقندي (٢١١/١).

(٢) تفسير مقاتل (٩١/٣).

(٣) قال ابن فارس: العين والقاف والراء أصلان متباعد ما بينهما، وكل واحد منهما مطرد في معناه، جامع لمعاني فروعه. فالأول الجرح أو ما يشبه الجرح من الهزم في الشيء. والثاني دال على ثبات ودوام. فمن الأول:.. العاقر من النساء، وهي التي لا تحمل. وذلك أنها كالمعقورة....قال الخليل: لأن ذلك شيء ينزل بها من غيرها، وليس هو من فعلها بنفسها. (مقاييس اللغة، مادة عقر ٩٠/٤، ٩١).

(٤) المفردات (ص٥٧٧).

(٥) المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده. مادة العين والقاف والراء (١٨٢/١).

إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ}الذاريات:٣٠. فقوله "كذلك" جواب لخبر مقدم وهو قولها { **عَجُوزٌ عَقِيمٌ}** الذاريات:٢٩. أي كما جعلك عقيما لا تلدين ويستحيل في مثلك الإنجاب، كذلك حكم بعلمه أن سيجعلك تلدين.

أما العقر فشيء طارئ على الرجل والمرأة، يمكن علاجه بعد الوقوف على أسبابه، ومحل ذلك عند أهل العلم من الأطباء. لذلك قال تعالى عن زوجة زكريا عليه السلام **{وَأَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ}** الأنبياء:٩٠. أي هيأنا له، وأصلحنا له ما كان سببا في عدم الإنجاب.

يستفاد من قصة ابتلاء إبراهيم وزكريا عليهما السلام في تأخر الإنجاب:

١ – عدم اليأس والقنوط من رحمة الله.

٢ – التفاؤل وقوة الإيمان بالله.

٣ – الأخذ بالأسباب والاعتماد على الله تعالى.

٤ – العقم والعقر داءان لهما دواء لمن وقف على أسبابهما.

قال القشيري: " فى هذا بشارة لجميع المؤمنين، لأن المؤمن لا يخلوا من حالة من أحوال الرغبة أو الرهبة إذ لو لم تكن رغبة لكان قنوطا والقنوط كفر، ولو لم تكن رهبة لكان أمنا والأمن كفر "(١).

المطلب السادس: ابتلاء خير خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم بفقد الأبناء.

هنا تختلف صورة الابتلاء عن أي نوع مضى، فيعقوب عليه السلام حزن حزنا شديدا على بعد وفراق يوسف عليه السلام، وهو يعلم أنه حي وسوف يأتيه الله به وبأخيه، وأيوب بعد أن تفرق عنه أولاده، ردهم الله إليه، وهو يعلم بحياتهم، لكن رسول الله ﷺ سيد الأنبياء والرسل مات أبناؤه جميعا خلا فاطمة عليها السلام، فلذات أكباده بين عينيه، فكانت مصيبته وبلاؤه أشد من أي بلاء، فهو القدوة صلوات ربي وسلامه عليه في كل شيء حتى في الابتلاء.

فالدارس لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، يجد أن إحدى المحن والابتلاءات التي ألمّت به كانت في فقده لأبنائه صغاراً، فمن ذلكم ما قاله ابن هشام: "فأما القاسم والطيب والطاهر فهلكوا في الجاهلية، أما بناته فكلهن أدركن الإسلام، فأسلمن وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم "(٢). ورغم هذا الذي ذكره ابن هشام، إلا أن لنا أن نقول بأن بناته صلى الله عليه وسلم قد توفين وهن

(١) لطائف الإشارات (٥٢١/٢).

(٢) سرة ابن هشام (١٩٠/١).

في سن الشباب، فقد ماتت زينب رضي الله عنها في سنة ثمان للهجرة([1])، وماتت رقية لسنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً من مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة([2])، وماتت أم كلثوم سنة تسع من الهجرة([3])، هذا تحديد وفاة بناته صلى الله عليه وسلم في حياته، وأما فاطمة رضي الله عنها فقد ماتت بعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

وأما أبناؤه الذكور فقد توفي القاسم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آت من جنازته على العاص بن وائل وابنه عمرو ابن العاص، فقال عمرو حين رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأشنؤه، فقال العاص: لا جرم لقد أصبح أبترا([4])، وأنزل الله تعالى: {**إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**}الكوثر:٣([5]).

وتوفي إبراهيم بن رسول الله عليه السلام، يوم الثلاثاء لعشر خلون من شهر ربيع الأول، وهو ابن ثمانية عشر شهرا.كما ذكر الواقدي([6]). وحدث إبان موته حدث عظيم، إذ خسفت الشمس، وتحدث الناس إنما خسفت الشمس لموت إبراهيم، لكن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فيهم مصححا هذا المعتقد قائلا: «**الشَّمْسُ وَالقَمَرُ لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَصَلُّوا**»([7]).

ولم يزد النبي صلى الله عليه وسلم على فراق إبراهيم عن البكاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى أَبِي سَيْفٍ القَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا[8] لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «**يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ**» ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى،

---

(١) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان (٣١٥/١).
(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٢٨٣/٧).
(٣) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس (١٤٠/٢).
(٤) الابتر: الذى لا عقب له. وكل أمر انقطع من الخير أثره فهو أبتر. (الصحاح تاج اللغة، للجوهري. مادة: بتر ٥٨٤/٢).
(٥) إمتاع الأسماع، للمقريزي (٣٣٣/٥).
(٦) عيون الأثر، لابن سيد الناس (٣٥٩/٢).
(٧) أخرجه البخاري –الجامع الصحيح– كتاب الجمعة باب لا تنكسف الشمس لموت أحد ولا لحياته (٣٨/٢) حديث رقم (١٠٥٧)، ومسلم –المسند الجامع– كتاب الكسوف بَابُ مَا عُرِضَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ مِنْ أَمْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ (٦٢٣/٢) حديث رقم (٩٠٤).
(٨) الظئر: المرضعة غير ولدها. ويقع على الذكر والأنثى. (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير. باب الظاء مع الهمزة ١٥٤/٣).

فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»(١).

- الحكمة من موت أبناء الرسول الذكور.

١- حتى لا تكون النبوّة لأبنائه من بعده، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال «لَوْ عَاشَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، لَكَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا»(٢). عن إسماعيل بن أبي خالد قال: قُلْتُ لِابْنِ أَبِي أَوْفَى: رَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ ابْنَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ؟ قالَ: مَاتَ صَغِيرًا، ولو قُضِيَ أَنْ يَكونَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم نَبِيٌّ عَاشَ ابنُهُ، ولَكِنْ لا نَبِيَّ بَعْدَهُ"(٣).

٢- مواساة للذين لم يرزقهم الله بالذرية، أو للذين توفّي لهم أبناء، كما يعدّ ذلك من الابتلاء في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعلومٌ أنّ الأنبياء هم أكثر الناس بلاءً، وقد ثبت عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنّه قال: قلتُ يا رسولَ اللهِ، أيُّ النَّاسِ أشدُّ بلاءً؟ قالَ: "الأَنبياءُ ثمَّ الأَمْثلُ فالأَمثلُ؛ يُبتلَى الرَّجلُ علَى حسَبِ دينِهِ، فإن كانَ في دينِهِ صلبًا اشتدَّ بلاؤُهُ، وإن كانَ في دينِهِ رقَّةٌ ابتليَ علَى قدرِ دينِهِ، فما يبرحُ البلاءُ بالعبدِ حتَّى يترُكَهُ يمشي علَى الأرضِ وما علَيهِ خطيئةٌ"(٤).

٣- القدوة الحسنة: لقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم أروع المثل العملي والقولي في الصبر على الابتلاء بفقد الأبنا، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ السِّقْطَ لَيَجُرُّ أُمَّهُ بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ إِذَا احْتَسَبَتْهُ»(٥). وحديث أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا

(١) أخرجه البخاري –الجامع الصحيح– كتاب الجنائز بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ» (٨٣/٢) حديث رقم (١٣٠٣).
(٢) أخرجه أحمد –المسند– مسند المكثرين، حديث أنس بن مالك (٣٥٩/١٩) حديث رقم (١٢٣٥٨).وحسنه الأرنؤوط.
(٣) أخرجه البخاري –الجامع الصحيح– كتاب الأدب باب من سمى بأسماء الأنبياء (٤٣/٨) حديث رقم (٦١٩٤).
(٤) أخرجه الترمذي –السنن– أبواب الزهد باب ما جاء في الصبر على البلاء (٦٠١/٤) حديث رقم (٢٣٩٨) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه –السنن– كتاب الفتن باب الصبر على البلاء (١٣٣٤/٢) حديث رقم (٤٠٢٣).
(٥) أخرجه ابن ماجه –السنن– كتاب الجنائز باب ما جاء فيمن أصيب بسقط (٥١٣/١) حديث رقم (١٦٠٩)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٥٢/٢): هذا إسناد ضعيف لاتفاقهم على ضعف يحيى بن عبيد الله بن عبد الله بن موهب، قال المزي في الأطراف (٤٠٥/٨) تابعه عبيد الله بن عمر الرقي عن زيد بن أبي أنيسة عن يحيى بن عبيد الله التيمي عن عبد الله بن مسلم قال وقال إسرائيل

مِنَ النَّاسِ مُسْلِمٌ، يَمُوتُ لَهُ ثَلاَثَةٌ مِنَ الوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ»(١). وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ إِلَّا أَدْخَلَ اللهُ وَالِدَيْهِمُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ» قَالُوا: وَاثْنَيْنِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَاثْنَيْنِ» قَالُوا: وَوَاحِدٌ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَوَاحِدٌ» ثُمَّ حَدَّثَ أَنَّ: «السِّقْطَ لَيَجُرُّ أُمَّهُ بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ»(٢)، وعن أم سلمة، رضي الله عنها ، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}البقرة: ١٥٦، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا "، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ، فَقَالَ: «أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ»(٣).

بن يونس وخالد بن عبد الله الواسطي وغير واحد عن يحيى بن عبد الله الجابر عن عبيد الله بن مسلم وهو المحفوظ. وقال الهيثمي في المجمع (٩/٣): وفيه يحيى بن عبيد الله التيمي، ولم أجد من وثقه ولا جرحه.

(١) أخرجه البخاري –الجامع الصحيح–كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المسلمين (١٠٠/٢) حديث رقم (١٣٨١).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٤٥/٢٠) حديث رقم (٢٩٩). ضعفه الأرنؤوط في مسند أحمد (٤١١/٣٦) بيحيى التيمي.

(٣) أخرجه مسلم –المسند الجامع–كتاب الكسوف باب ما يقال عند المصيبة (٦٣١/٢) حديث رقم (٩١٨).

الخاتمة:

أهم النتائج:

١- الابتلاء سنة من سنن الله تعالى في خلقه في هذه الحياة.

٢- الابتلاء يكون بالخير والشر.

٣- الصبر على فقد الأبناء له أجر وثواب عظيم عند الله.

٤- من دوافع القتل، الحقد والحسد.

٥- علاج الحقد والحسد، الخوف من الله، والاستسلام لقضاء الله وقدره، والأخذ على يد الحاسد.

٦- رفقاء السوء، والكبر والحسد، وكفر الأم، من الأسباب التي أدت إلى كفر ابن نوح، بعد قضاء الله وقدره.

٧- بعد كل محنة منحة.

٨- الراجح أن الذي وقع عليه الذبح هو نبي الله إسماعيل، لقوة الأدلة الدالة على ذلك.

٩- المكر والخداع، والحسد، ونزغ الشيطان، أسباب حملت إخوة يوسف على ما فعلوه به.

١٠- العقم داء لازم، والعقر داء طارئ.

١١- لكل من العقم والعقر، دواء بفضل الله تعالى، ثم وسائل العلم الحديثة.

١٢- أشد الأنبياء ابتلاء هو سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، حيث ابتلي بفقد أبنائه جميعا في حياته سوى فاطمة رضي الله عنها.

ثبت المراجع

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
- البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨م.
- بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- برد الأكباد عند فقد الأبناء، للشيخ الحافظ المحدث أبي عبد الله محمد بن عبد الله، المعروف بابن ناصر الدين الدمشقي. قدم له عبد القادر بن شيبة الحمد، مكتبة فهد الوطنية، الرياض/ الطبعة: الأولى ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.
- تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، المؤلف: حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري (المتوفى: ٩٦٦هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت. بدون تاريخ.
- تسلية أهل المصائب، المؤلف: محمد بن محمد بن محمد، شمس الدين المنبجي (المتوفى: ٧٨٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- تفسير الإمام الشافعي، المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، الناشر: دار التدمرية - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٧ - ٢٠٠٦ م.

- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- تفسير الماوردي = النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان. بدون تاريخ.
- تقريب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ - ١٩٨٦م.
- الثبات عند الممات، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الله الليثي الأنصاري، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ)، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر : دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤٢٢هـ.

- سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.
- سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت. بدون تاريخ.
- سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.
- شرح صحيح البخارى لابن بطال، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
- شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.
- صفة الصفوة، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، المؤلف: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، الناشر: دار القلم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤/١٩٩٣.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد

عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

- الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م.
- الكبائر، المؤلف: تنسب لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الندوة الجديدة – بيروت. بدون تاريخ.
- كتاب العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.بدون تاريخ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.
- لطائف الإشارات = تفسير القشيري، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة. بدون تاريخ.
- لمعجزة الكبرى القرآن، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، الناشر: دار الفكر العربي. بدون تاريخ.
- اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع، المؤلف: محمد بن خليل بن إبراهيم، أبو المحاسن القاوقجي الطرابلسي الحنفي (المتوفى: ١٣٠٥هـ)، المحقق: فواز أحمد زمرلي، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦ م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
- محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.
- المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى: ٨٤٠هـ)، المحقق: محمد المنتقى الكشناوي، الناشر: دار العربية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ.
- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر،عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

- المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

الفهرس

المحتويات